تاريخ الاستلام: 2023/11/05م تاريخ القبول: 2023/11/20 تاريخ النشر: 2023/12/31م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن كلية التربية بجامعة الزاوية
العدد الثامن والعشرون – ديسمبر/ 2023م

المفارقات الزمنية في رواية ذاكرة ذات لطاهر بن طاهر

صبحية خليفة الحلالي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
Email: S.alhallali@zu.edu.ly

الملخص:

تعد المفارقات الزمنية شكل من أشكال التنافر الذي يمارسه الراوي على أنظمة تسلسل الأحداث الروائية، وترتيبها الزمني وسرده للمقاطع بما يوجد فيها من انحرافات، لتحقيق الغرض المقصود، ولتجسيد رؤية جمالية ذاتية لدى القارئ.

ونظراً لأهمية الموضوع فقد وقع الاختيار على دراسة (المفارقات الزمنية في رواية ذاكرة ذات) للطاهر بن طاهر، المعروف بتحلقاته الحداثية تنظيراً وإبداعاً، وما تملكه هذه الشخصية من ذوق وتألق في اختيار الكلمة واستعماله للمفارقات بأنواعها: الداخلي والخارجي من خلال تقنية الاسترجاع، وكذلك تقنية الاستباق التي تشكل النظرة الكلية للمستقبل، ورؤية الهدف قبل حدوثه الفعلي من خلال الرموز والاشارات والتلميحات، وتقنية تسريع السرد وإبطائه ، والمشهد والوقعة الوصفية، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي، فالرواية هي خليط من الأزمنة المرتبطة بالأمكنة التي تلامس المونولوج الداخلي للذات، وتعكس النظرة العميقة للأحداث من خلال تقنيات عدة منها: التقديم والتأخير والانتقال من شخصية إلى أخرى، ومن مكان لآخر، ومن أهم نتائج هذه الدراسة ما يلي:

1- بدأ الكاتب بتقنية الاسترجاع في بداية روايته وانتهت به وما هذا ما يعرف بـ(الرواية الدائرية).

2- اعتمد الكاتب في روايته على الرجوع بالذاكرة إلى الزمن الماضي واستحضار للأماكن الأثرية القديمة، لتعكس عمقها في الزمن الحاضر.

3- عمل الاستباق على توطيد الحدث والتمهيد لما سيأتي من أحداث جديدة في المستقبل، كما تفنن الكاتب في استخدام المشهد الحواري بشكل منتظم ومتناسق بين الشخصيات الروائية.

Temporal paradoxes in the novel "Memory of Dhat" by Taher bin Taher

Subhia Khalifa Al-Halali
Department of Arabic Language - Faculty of Arts - Zawia University
Azzawia -Libya
EMAIL: S.alhallali@zu.edu.ly

ABSTRACT

Temporal paradoxes are a form of dissonance practiced by the narrator on the systems of the sequence of narrative events, their chronological order, and his narration of passages, including the deviations in them, to achieve the intended purpose and to embody the reader's subjective aesthetic vision.

Given the importance of the topic, the choice was made to study (Temporal Paradoxes in the Novel Memory of the Same) by Al-Taher bin Taher, known for his modernist circles of theory and creativity, and the taste and brilliance this character possesses in choosing the word and his use of paradoxes of all kinds: internal and external through the technique of retrieval, as well as the technique of anticipation. Which constitutes the overall view of the future, and seeing the event before its actual occurrence through symbols, signs, and allusions, and the technique of accelerating and slowing down the narrative, and the scene and the descriptive incident, using the descriptive and analytical approach. The novel is a mixture of times linked to places that touch the inner monologue of the self, and reflects a deep view of the events through Several techniques, including: introduction, delay, and moving from one character to another, and from one place to another. The most important results of this study are the following:

1- The writer began with the flashback technique at the beginning of his novel and ended with it, and this is what is known as (the circular novel).

2- In his novel, the writer relied on returning memory to the past and recalling ancient archaeological sites, to reflect their depth in the present time.

3- Anticipation works to consolidate the event and prepare for new events to come in the future. The writer also excelled in using the dialogue scene in a regular and consistent manner between the fictional characters.

مدخل:

تعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية إلتصاقاً بالزمن، باعتباره اللحظة التي يتم فيها عرض الأحداث على شكل سرد تتابعي (كرونولوجي)، أو على توظيف الحدث في فترات متفاوتة، وعلى ضوئه تتعاقب مادة القص بمختلف أنواعها وأشكالها مع زمن الخطاب، فالراوي يولد مفارقات زمنية حسب الزمن، وترتيب الأحداث وسرد المقاطع بما يوجد فيها من انحرافات، ليجسد رؤية ذاتية وجمالية وفكرية وحضارية لدى المتلقي، إذ تتمثل رؤية (ذاكرت ذات) في كيفية استثمار الأحداث التاريخية استثماراً واضحاً على وجه الخصوص، ولامست المونولوج الداخلي للذات، ومَدى استيعابها لطول الزمن وربطها بالحياة اليومية من خلال تغير الأحداث والوقائع المرتبطة بالسرد الروائي، فالكاتب يترك السرد التي بدأ بها في بداية روايته ويلجأ إلى توظيف عدة تقنيات من تقديم وتأخير الأحداث، والتنقل من شخصية إلى آخرى، ومن مكان لآخر، مع مراعاته لعامل الزمن الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة النفسية وذات الإنسان التي تعكس ما هو موجود في ذهنه، بفعل انعكاس الزمن على حالته لترفع ما هو موجود داخلها وهي تعيش حالات البعد والفراق والاغتراب والخوف من المجهول.

الكلمات المفتاحية: المفارقة، الاسترجاع، الاستباق، التسريع، السرد

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى كشف المفارقات الزمنية في رواية ذاكرة ذات، والتعمق في مضامينها ومحتواها الداخلي، وما تحققه من أبعاد لها دلالتها الفنية والجمالية في خدمة النص الروائي.

أهمية البحث:

يقوم البحث على دراسة أهم المفارقات الزمنية من خلال تقنياته المختلفة، التي تعمل على كشف الصورة داخل النص. مثل تقنيات الاسترجاع (بأنواعه: الداخلي والخارجي، وتقنية الاستباق، وتسريع السرد، وإبطائه، وتقنية المشهد والوقفة الوصفية، في ظل المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي قامت على المفارقة من بينها:

1- المفارقة والأدب، خالد سليمان، دار الشروق للنشر ، عمان، الأردن، 1999.

2- بناء المفارقة في المسرحية الشعرية، سعيد شوقي، دار ايتراك للنشر، القاهرة، مصر، 2001.
3- المفارقة في النص الروائي، حسن حماد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005.

أولاً: تقنية الاسترجاع

يعد الاسترجاع من أهم التقنيات السردية التي تعنى بتتبع الأحداث في الرواية، بحسب وجودها وارتباطها بعامل الزمن "فمن خلاله يأخذ السارد زمام المبادرة في الزمن، فيقطع زمن الحاضر ليرحل في الماضي، الذي سرعان ما يأخذ طريقه في الحاضر فيكون جزءاً من نسيجه"(بوعزة، 2010، ص44) ، ذلك لأن المفارقات تشكل انحرافات في الزمن، وينقسم الاسترجاع إلى نوعين هما:

أ- الاسترجاع الخارجي:

وهي أن يستذكر الكاتب لأحداث معينة تعمل على تزويد المتلقي بمعلومات حول الرسالة التي تحملها النصوص، بحيث تساعده على فهمها واستيعابها والغوص في خفاياها، إذ يعود الحديث إلى ماضٍ قديم (قاسم، 2004، ص40)، وأحداث جرت في زمن يخالف الزمن الحاضر مليئة بالتغيرات، تعمل على تغيير مسار الحدث في الرواية.

والمتمعن في رواية (ذاكرة ذات) يجدها تضجُ بالاسترجاعات الخارجية الماضية التي تشكل البؤرة الرئيسية في استمرار سرد الأحداث داخلها، إذ أن الكاتب يستذكر عامل الحدث فيربطه بعامل الزمن في العديد من مقاطعه الروائية، ومن ذلك قوله:

"هل ما أحسه هو صدى لما قالت ياسمين وانعكاساً لما باحت به، وهي صادقة عندما قالت له: أنك لا تعدو أن تكون مظهراً متجدداً لإرث قديم وأن داخلك يسكن ميراث الأولين"(بن طاهر، 2023، ص9).

هذا تذكير من (ياسمين) تؤكد فيه أن زوجها (المهدي) لا يمكن أن يكون بمثابة الإرث القديم الذي يتركه المتوفي إلى من هم بعده، سوى كان حق عقاري أو ملكية خاصة مثل المنازل والأراضي وغيرها، إذ به تسترجع الزمن الماضي من خلال استحضار مصطلح (الميراث) الذي يعد من المصطلحات القديمة، حيث تم ذكره في العديد من الآيات القرآنية التي تبيّن شروطه الأساسية وأحكامه الخاصة.

كما نجده يقول أيضاً:

"لا يدري كيف خطر بباله تلك الرحلة العقيم الذي صحبته فيه (ياسمين) لم يكونا متواعدين أو بينهما مواثيق، الصدفة من تلعب الدور وتؤسس لعلاقة طويلة تمتد عبر مسافة زمنه" (بن طاهر، 2023، ص19).

يروي الكاتب في هذه الأسطر ما حدث بين (المهدي) وزوجته، عندما التقيا لأول مرة في موعد غير مسبق، وشبه هذا اللقاء (بالعقيم) الذي لم يثمر إلا على النفور والكره، ومع ذلك استمرت العلاقة لمدة زمنية طويلة، فذكر (الرحلة، والزمن، وطول الفترة) وهي دلالات حدثت في الماضي، والرجوع بالذاكرة إلى الوراء يجعلها تربط الأحداث الماضية بالحاضرة، وكيف كانت هذه الشخصية؟ وكيف أصبحت الآن؟ مع تحقيق التوازن الزمني والتحول في الشخصية بين الماضي والحاضر.

فالأنا الفردية (الكاتب) تسير بحديثها عن الآخر، وآخر الآخر، وذلك لتعميق الفكرة والوصول بالمتلقي إلى المغزى المطلوب في كون أن هذا اللقاء حدث وانتهى، ولم يبقى إلا ذكرى تختزن داخل الذاكرة.

يسترسل الكاتب عبر روايته في استكمال الحدث، بذكر ما حدث في تلك الرحلة، بقوله:

"عندما سارا متحاذيين متحدين متلاصقين وسط الشارع الكبير داخل المدينة الأثرية، شعر أنه أحد أمراء الروم وسط جوقة التاريخ، تهادى كلاهما بفرح، عندما مر بالحمامات الرومانية، رآها تلف منديلاً أبيض يكشف عن كتفيها"(بن طاهر، 2023، ص20).

تشعر الشخصية كما لو كانت أحد ملوك وأمراء الروم وأصحاب الفخامة والهيبة والعظمة، وهي تسير عبر مسارات المدينة القديمة برفقة صديقته التي جعلته يحوم بخياله إلى حدائق وردية جميلة.

يبدع الكاتب في توضيح معالم (مدينة لبدة الأثرية)، وذلك بتوضيح ما حدث بين الشخصيتين في تلك الرحلة، من خلال ذكر المسجد العتيق الذي يتمركز وسط المدينة بقوله: "تذكر نمط المدينة الإسلامية وطريقة معمارها، عندما كان المسجد مركز المدينة وقلب الرحى الذي تدور عليه دوائر المدينة، بدت له المنصورة حين بنائها بغداد اليوم والمنصور يخط بيمينه على الورق المصنوع بتقنيات الصين، وهو يتخير مكان المسجد، يؤمن بدوران الحياة والكون من حوله، تجلى في مدينته القباب والأقواس"(بن طاهر، 2023، ص22).

يستشهد الكاتب بالمدينة الأثرية (لبدة) التي تعد من أروع البقع في ليبيا، "أسسها بحارة فينيقيون في القرن السابع قبل الميلاد، من خلال مرورها بعدة مراحل منها: مرحلة التأسيس، والمرحلة الفينيقية، الرومانية، والبيزنطية، والإسلامية"(الميلودي، 2009، ص73-74) ، فهي تضم أكبر المعالم مثل الأقواس، والمسرح الكبير، والمداخل الضيقة المنتشرة.

فالغاية والغرض من ذكر آثار المدينة واسترجاع كل معالمها، واستذكار فنون نقوشها ورسمها القديم، هو دلالة الحرص على تراب الوطن بكل ما فيه من كنوز أثرية، ومعالم ثمينة لا يمتلكها الشعوب الآخرى، فهذا الاسترجاع يعمل على تنوير القارئ لكي يفسر هذه المواقف والأماكن، ويحدد فترتها الزمنية ما بين البناء والتشييد.

ومن خلال الزمن اللامحدود انطلقت الذاكرة لتشير إلى فترة طويلة المدى، بوجود الاسترجاعات المتواصلة، فتتذكر نمط المدينة والطرق المختلفة في بنائها وتشييدها، وبخاصة بناء المسجد الإسلامي الذي يستوطن وسطها الأثري، وكذلك صور المنصورة وبغداد وتقنيات الصين التي تثير الدهشة، فهذه الاسترجاعات القصيرة في ذكرها والطويلة في مسيرة تكوينها، ساهمت في تعميق الفكرة لدى القارئ وتقوية معالمه الذاتية، وتكوين ثقافة تاريخية عظيمة بالتعرف على المدن الأثرية في ليبيا وفي بعض الدول الأخرى.

ب- الاسترجاع الداخلي:

وهو أن يتقيد الكاتب بالتسلسل الزمني، ويراعي تتابع الأحداث بشكل مرتب ومنتظم، فالراوي يعمد إلى دمج حدث سابق يعمل على توليد أحداث مختلفة داخل النص الروائي، ويستعمل "لعرض حوادث بأكملها قد تمتد إلى عدة أعوام بعد وقوعها".(قاسم، 2004، ص62)

إذ يعمل هذا النوع على تداعي الأحداث الروائية في الزمن الماضي البعيد، واستحضارها في الحاضر على شكل أفعال قامت بها بعض الشخصيات سوى كانت رئيسية أو ثانوية، تهدف إلى ملئ الفجوات الايحائية التي عَمِد الكاتب إلى عدم ذكرها مباشرةً.

والهدف منه هو معالجة الرواية وتعليق حدث آخر معاصر للروائي، فهكذا يتحول التزامن الحكائي المنطقي إلى تتابع روائي غير منطقي بل متخيل سردي تقتضيه الضرورة الفنية فحسب(يوسف، 2015، ص109، 110).

فمن الاسترجاعات الداخلية الموجودة في رواية (ذاكرة ذات) ما يلي:

"جلست قبالتي في مقهى فلاديفيا، كانت سعيدة وغير مصدقة، وقبل أن تقبل الدعوة، اختفت قليلاً ثم عادت بهيئة لم أعهدها، وما كنت لأعرفها لو لم تناديني باسم بلدي، شعرت أن غيمة فجائية قد أمطرت ذات صباح قفر الأرض، لتجد الوديان قد امتلأت ورواداً وزهراً"(بن طاهر، 2023، ص34).

يتحدث الكاتب عن بطل الرواية (المهدي) الذي دار بأفكاره مرئيات ضبابية وأحداث مأساوية، عندما كان يسير في شوارع عمان وفجأة ظهرت له إحدى نساء الغجر، فكانت تلاحقه لتقرأ له خطوط كفه، ومن ثمّ دعاها للجلوس معه في مقهى.

فأحداث النص هي عبارة عن تسلسل لما حدث بينهما من خلال (الجلوس في مقهى، ثم الاختفاء لفترة وجيزة من الزمن، ثم العودة من جديد لنفس المكان، ثم يوضح الكاتب عن تغيّر مظهرها بشكل كبير، ثم دار الحديث بينهما، فتغيرت المعطيات عند (المهدي) وشعر بأن السماء أمطرت ذات صباح، وازدانت الوديان ورداً وعطراً زكرياً.

ويقول أيضاً:

"كانت سعيدة جّذلى، ثوبها الغجري الفضفاض، يبين عن جسدها النحيل، كانت وسطاً بين البياض والسمرة، تأخذك أسنانها البيضاء إلى وهاد وسفوح سيبيريا، ثم لا تلبث ترتد، إلى غابات أفريقيا، عبر شعرها الأسود الفاحم، الذي تبدى كلوالب لا تنتهي إلا لتبدأ غاية لولبية".(بن طاهر، 2023، ص34)

يسترجع (المهدي) صفات هذه الغجرية بشكل من التفصيل، فجمال هذه الملامح تكاد تكون لوحة لفنان مبدع، ومناظر طبيعية ما بين الثلوج والخضرة، وسواد الليل، وغابات تزيينها الأشجار الجميلة.

كما نجده يقول عبر هذا الصدد:

"قالت وهي تمتم وكأنه كان يسمع مونولوجها، إيه يا صديقي الأفريقي، صدقني كنا نعبر الكون غير آبهين بوصايا جدنا الأكبر، الذي لم يكن ضربه في الأرض إلا عقاباً، لم تكن تعاليم جدنا إلا كذباً وافتراءً"(بن طاهر، 2023، ص41).

تتحدث هذه الغجرية إلى (المهدي) بنبرة صوت يلفها الحزن والقهر واليأس، على ماضٍ سحيق، تتذكر فيه (الجد) اللاعب اللاهي العابث السّكير، الذي أسرف في احتساء الخمرة، واستعباده للبشر ليكونوا طوع أمره.

توضح (الفجرية) عبر هذا النص كيفية سير حياتها، وما مدى صبرها على جدها أو ما يعرف بشيخ القبيلة (قائدها)، فهي مرغمة على الخضوع له وتنفيذ أوامره، إذ تتحدث (للمهدي) عن ماضيها السحيق لتستذكر ما حدث لها هي والفتيات الآخريات، تسترجع الماضي على صيغة "كنا نحاول صنع تاريخنا، تماماً كباقي شعوب الأرض، نصنع الكذبة ونصدقها، ثم نرويها لأحفادنا لتتحول حقيقة وتكتسي ثوب الحداثة والطهارة" (بن طاهر، 2023، ص41)

فمن الملاحظ أن هناك قفزة قوية عند استرجاع الحدث، وذلك بقولها: (ثم نرويها لأحفادنا)، فهي لم تقل لأولادنا بل للأحفاد فالفترة التي ما بين الجدة والحفيد طويلة جداً.

إذن؛ فالكاتب وضع هذه الجملة ليبين للقارئ بأن ما حدث اليوم لن يتكرر في الأيام القادمة ولا السنوات ولا الأعوام، ولكل فترة لها مميزات تختلف عن سابقها.

ويقول كذلك:

"كان جسدي متهتكاً منهكاً متعباً أشعر أنني قطعت آلاف الأميال عبر مفازات خالية، حلقي جاف، أبحث عن شربة ماء تطفئ جوفي المحترق، الشمس تخترق رؤوس الجبال ترسم ظلالاً متداخلة..... بينما بدأ ظل القبة نصف كرة عملاقة تحط على الساحة"(بن طاهر، 2023، ص57).

استثمر الكاتب هذه الكلمات ليزيد من شغف القارئ، وذلك باعتماده على مقاطع ما تشعر به هذه الشخصية وما ينتابها من أحاسيس، من خلال مسيرتها التي بدأت بشيء من الإرهاق والتعب، وقطعها آلاف الأميال، عبر الفيافي والجبال الشاهقة، فهذه الاستذكارات تجعل من المتلقي يعيش ويتعايش مع بقية أحداث الرواية، وليس قارئاً فقط، فقد أضاءت الأنا الساردة جزءاً من حياة هذه الشخصية (المهدي)، عندما عبر المسافات ليلتقي مع صديقه (عبد الله) الذي كان يؤمن بعالم الروحانيات، وتأثير السحرة، وغوائل السحر، وفعل العفاريت وغير ذلك، فشعور الإنسان ببطء أثر تعاقب الأيام ورتابتها يعبر عن ذات حزينة وكئيبة، تشعر بمرارة الفقد والوحدة والخوف من المحيط الخارجي، وهذا الاسترجاع "يعمل على إحياء فكرة سابقة، وإظهار حدث ماضٍ له أثره في مسيرة الأحداث التالية"(بحراوي، 1990، ص121).

ثانياً: تقنية الاستباق

هي النظرة الكلية إلى المستقبل، ورؤية الهدف قبل حدوثة الفعلي، وذلك من خلال وجود الرموز والإشارات والتلميحات الدالة عليه، وهو عكس الاسترجاع، إذا يعد بمثابة التمهيد المسبق لأحداث قادمة يجرى تحقيقها عبر الزمن اللاحق، فسردها من طرف الراوي بطريقة أو بآخرى يجعل من الحدث في ترتيب وتسلسل محتمل التحقق، وقد تتشكل هذه الاستباقات على "شكل إعلان عما ستؤول إليه مصائد الشخصيات، مثل الإشارة إلى احتمال موت أو مرض أو زواج" (بحراوي، 1990، ص132).

فااستباق مغاير للاسترجاع ذلك لأنه يخالف زمن السرد ، إ نجد الكاتب يتجاوز عن الحدث في الحاضر، وينتقل إلى حدث سيتحقق قريباً في زمن المستقبل، ليكون عبارة عن تنبؤ أو توقع لم يحن وقته بعد، إلا أن زمن الحدث يتطلب هذا الافتراض الذي يحوي صفة التشويق والإثارة، والتطلع إلى غايات وأمنيات مستقبلية قد تتحقق، وقد لا تتحقق لأنها لا زالت في عالم الغيبيات.

وتعد هذه التقنية أقل ظهوراً في الرواية الواقعية، أما في الروايات الجديدة فتزداد أهميتها بشكل ملحوظ عكس الاسترجاع، ذلك لأن الاستباق هو حالة تمهيدية أو توطئة لما سيأتي من أحداث مستقبلية "فمشاركة القار ئ في النص من أبرز وظائف الاستباق، إذ يوجه انتباهه لمتابعة تطور الشخصية والحدث، كما يسهم في بناء النص من خلال التأويلات والإجابة على تساؤلات يطرحها مثل: ثم ماذا بعد؟، ولماذا حدث؟" (القصراوي، 2004، ص213).

ونجد هذا النوع في رواية (ذاكرة ذات) على النحو التالي:

"أيها الفتيان، وحفاظاً على نسلنا العظيم، وعرقنا الأبي، أنه عند توسط الطريق، سنفترق في مشارق الأرض ومغاربها، سنحرر الإنسان من رقة المكان، ولعنة الظعن وعبودية الاستقرار، ستلهمنا الموسيقى الطريق، ويخفف كدرنا الغناء، سنغني ونرقص عابرين المسافات" (بن طاهر، 2023، ص37).

فهذه كلها إشارات استباقية ومع كل خطوة تظهر غاية جديدة وأمل قادم سيحقق قريباً، لهذا الشعب المقهور المضطهد، إذ نجد كلمات ذلك الشيخ الكبير (رئيس القوم) عندما ارتقى الصخرة الكبيرة، رأى شعبه المظلوم المقهور في حالة الكآبة والفقر والاستعباد، صاح بصوته الجهور، لتكون ألفاظه عبارة عن دلالات مفعمة بالأمل والحياة الكريمة مثل

"سنفترق..... سنحرر الإنسان.... ستلهمنا..... ويخفف كدرنا..... سنغني ونرقص.."، فهذه رسالة تحمل في طياتها العديد من الاستباقات التحفيزية لأبناء قومه وشعبه الأبي، الذي لم يخضع للأعداء ولن يخضع لهم.

ويقول أيضاً:

"سنرحل نتبع الشمس، ونسترشد بالحرية وننشد الخلاص، لن نتوقف... سندور مع الشمس ونتبع الفصول، كالطيور المهاجرة".(بن طاهر، 2023، ص37)

ويزيد إصرار هذا الشيخ بالرحيل والفراق الأبدي، لتكوين حياة مستقرة بعيدة عن الحروب والدمار بالرحيل والفقر، فهذه الأشياء بمثابة الأماني التي يتمناها لهم لتعم حياتهم السكينة والسلام.

ويقول الراوي في الاستباقات أيضاً:

"علمت أنني صرت أملك قوى خفية ، ستتدبر قادم أيامي، وتلون حياتي بألوان الطيف السبعة، وأن أقواس قزح كثيرة ستكتب في سمائي، وعواصفاً ورعوداً ستعصف بي وبمن حولي، وأن زخات المطر الجارف حيناً ستغمرني، وأن غيثاً هاطلاً سيبلل كياني".(بن طاهر، 2023، ص82، 83)

وها هو (المهدي) بعدما تعاملت معه (ياسمين) بطريقة غير لائقة من خلال أفعالها وكلماتها الخشنة، التي أثرت في نفسه بل وأحرقتها وعم ظلام اليأس بذاته، إلا أنه قام من جديد وتيقن بأن بعد كل عسر يسر، وأنه صار يملك القوة والصبر، وستتدبر أيامه القادمة، وتتلون حياته... إلخ.

فهذه عبارات استباقية تقود إلى حدوث أمر عظيم في المستقبل؛ لأن المستقبل عند (المهدي) هو الحياة الجديدة المفعمة بالخير والفرح الدائم.

ثالثاً: تسريع السرد

هو أن يلجأ الكاتب إلى اعتماد تقنية تسريع السرد والذي بدوره يعمل على إيصال فكرة معينة للمتلقي، ولكن على شكل إشارات أو قفشات أو كلمات قليلة، يمر عليها القارئ كمعلومات ثانوية يضيفها إلى أحداث الرواية الرئيسية، ذلك لأن للسرعة في السرد وجهين هما:

"سرعة تنشيط من إطالة الراوي في السرد أو اقتضابه له، وسرعة تستنبط من مدى وجود المقاطع السردية التي من شأنها أن تتقدم بالمغامرة، إلى المقاطع الغير سردية لتخفف من سرعة تقدم المغامرة"، (قسومة، 2000، ص130) على أن تأخذ الحيز المقتضب في متن الصفحة، ويمكن أن نعبر عنه بالمعادلة التالية: ح م > ح خ، أي حيز المغامرة أو حيز الخطاب، وعليه ففي الكتابة الروائية لابد من وجود فقرات طويلة المدى سوى بذكر الأيام أو الشهور أو الليالي أو الأسابيع.

وفي كل مقطع قصير تقوم هذه العملية على حركتين هما: الحذف، والإيجاز.

أ- **الحذف**:وهو القفز أو الاضمار أو القطع، أو بسقوط جزء من القصة، ويشير له الراوي بوضع بعض من الكلمات وحذف الباقي أو إلغائه.

ب- الإيجاز (التلخيص أو الخلاصة):وهو يعمل على تسريع الحكي، إذ يقوم الراوي بسرد أحداث استغرقت عدة أزمنة ما بين (الأيام، الأسابيع، الشهور، السنين) في بضع كلمات أو فقرات.(جبرا، 2001، ص127)

وللكاتب طاهر بن طاهر بصماته المميزة في توظيف هذا النوع في روايته، ومن ذلك قوله:

"أعادت حسابات يومها وماضيها، حيث لم يكن زواج أمها إلا غنيمة وشارة للسحر، علقتها الجدة في يد ابنتها، هكذا تروي الجدة قصة غرام والدها وتعلقه بأمها، دورة من أدوار السحر، لطالما حاولت أمها القول بأن سحر جمالها هو الذي أسر والدها، بينما تصر الجدة أن ذهابها للفقيه هو السر الكبير حينها".(بن طاهر، 2023، ص26)

حديث (ياسمين) عن ماضيها القديم وربط أحداثه بالحاضر الذي يعمه السواد، وتستشعر بواقعها المرير الذي خضب أيامها بالخيبات، وهذا الموقف أو الحدث قد دعاها إلى ذكر أيامها التي عاشتها بكل مآسيها، فذكر:

"اليوم، والماضي، زواج الأم، وجود السحر، ذكر الجدة، قصة غرام والدها، الفقيه".

ففي هذه الفقرة القصيرة في كلماتها، والطويلة في أحداثها التي تمتد إلى سنوات عديدة ما بين فترة (عمر الجدة، والوالد، والأم، ياسمين)، جعلت الكاتب يلجأ إلى تسريع السرد أو التلخيص، لتقديم شخصيات ثانوية مع الشخصية الرئيسية، وهذا دليل على كثافة

الأحداث وكثرتها بحيث تجعل القارئ في حالة من الذهول، ولابد له أن يربط كل حدث بالآخر لكي يكتمل المقصد المطلوب الذي أراد به الكاتب.

ويقول أيضاً: "تباً لهن أدخلنني في مقارنات تركت أثرها اليوم، هذه الإضمامة بين ماضي وحاضري هو الذي فجر القلق والاضطراب، وضيب رؤيتي للأشياء، وفتح أبواباً للتفسير والتأويل، أحاول فيه خلق زمني التعاقبي المستحدث والمستجد".(بن طاهر، 2023، ص120)

وفي هذا المثال يقارن (المهدي) ما حصل في حياته من أحداث في الماضي والحاضر، مما جعله في حالة مضطربة بين عشقه القديم (لياسمين) والجديد (للزنجية) فهو يحاول توطئة نفسه لأحداث لاحقة غايتها التطلع إلى ما هو محتمل وقوعه في المستقبل المستجد، فالكاتب عمل على تلخيص حياة المهدي عندما قال (ماضي وحاضري) وما بين الماضي والحاضر فترة زمنية طويلة المدى وكثيرة الأحداث، فلم يذكر عنها إلا القليل بغية تنشيط الحركة السردية، وفي عبارة أخرى يقول المهدي:

"زمن كهولتي التي أعيشها اليوم أجبرني أن أحول ما في حياتي إلى سيل من التأويلات، بعد أن كانت سفراً من التفسير، جعلتني معلقاً بين طفولتي وواقعي".(بن طاهر، 2023، ص137)

جمعت هذه العبارة ما بين فترة (الكهول، والصبا) مما جعل من (المهدي) يعيش حالات من التفكير والتأمل طيلة هذه المراحل، فأفكاره محاصرة ومشتتة، إذ جعل من ذاته تقف في مستوى الضعف والإنهيار.

رابعاً: إبطاء السرد

تعمل هذه الألية عكس تسريع السرد، وذلك من خلال تكريس مقاطع طويلة في النص، "إذ ينتج من توظيف تقنيات زمنية تؤدي لإبطاء إيقاع السرد وتعطيل وتيرته، أهمها المشهد والوقفة". (بوعزة، 2010، ص94)

أ- المشهد:

هو نقل الحدث مباشرة ما بين مرسل ومستقبل، كذلك ما بين الأنا (المفرد) والآخر (المفرد)، أو ما بين عدة شخصيات لتأخذ الطابع الدرامي بينهم.

فالمشهد "عبارة عن فعل معين يمثل حدثاً أو واقعة تحصل في مكان وزمان معينين ويستمر طالما لا يطرأ تغيير في المكان والزمان" ، (نور الدين، 2003، ص18) إذ ينقل الحدث للمتلقي بدون تغيير أو تزييف.

ومن نماذج تقنية المشهد في رواية (ذاكرة ذات) يقول الكاتب:

"تساءلت ياسمين، هل حقاً كان سكان المدينة سعداء؟

– لا أدري ولكنهم بالتأكيد يشبعون رغباتهم، والدليل أن منشآت المدينة قد حققت الغرض.

– أعتقد أنه جيد ومتكامل".

– تسحرك لبدة بعظمتها واكتمالها، لابد أنها كانت إضافة وأنها شيئاً جديداً في النسق والأبعاد في فضاء هذه المدينة، تبدو المدينة منظراً طبيعياً خلاباً، حقاً إنها تقدم عملاً فنياً رائعاً.(بن طاهر، 2023، ص20)

هنا يحتجب الراوي فتتكلم الشخصيات بلسانها، وتتحدث عن موقفها بطريقة العرض المسرحي، فنجد (ياسمين) في لقاء مع (المهدي) في مدينة (لبدة) الأثرية، وهذا حوار بين (الأنا والآخر) الحاضر، الذي يتطلب منه الرد على أي سؤال من طرف الأنا مما تساهم هذه التقنية (المشهد) في تعطيل وتيرة السرد إلى حد الإيقاف.

وفي مشهد آخر دار بين (المهدي، ياسمين) إذ يقول:

"دعينا نتجه يميناً ربما نقترب أكثر من المسرح الأثري

– شعرت أنني في كل خطوة أخطوها أشعر أن غموضاً ينتابني...

– هل يؤشر ما ذكرت تصميماً معمارياً يتماشى مع نمط الحياة...

– نعم بكل تأكيد العمارة تعطينا الفرصة كونها تمثل نسق الحياة...".(بن طاهر، 2023، ص21، 22)

جاء هذا المشهد بمثابة التفصيل الدقيق لمسرح لبدة، وتفصيل لبعض الأحداث بذكر صفاتها ومميزاتها وزمنها الخالد عبر التاريخ، من خلال العودة بالذاكرة إلى الوراء، وإحساس الذات بقيمة هذا الوطن وبقيمة الآثار التاريخية التي تمثل الأصالة والعرق.

من خلال إبطاء السرد في سرعة انقضاء الزمن ما بين بناء المدينة وبين وجودها الآن أثار، حيث تم سرد الحدث في كلمات مع أنه استغرق من الوقت زمناً.

وفي مشهد آخر لحوار جديد بين الشخصية (حفيظة) و(الأديب):

"قالت حفيظة: هذه الصورة تأخذ طابع الشمولية، تحاول أن تجيب عن أسئلة المتلقين المركبة...

قال الأديب الكهل إنني أحاول أن أنصف اللوحة، وأنني أنشد المعنى من خلال الفهم، لم تكن اللوحة إلا نقلاً واقعياً لألاف الحكايات...).(بن طاهر، 2023، ص100)

فهذا المشهد الذي يحوي لوحات فنية تتزاحم على الجدار لفنانين محترفين، حاولت حفيظة أن توضح ملامح الصورة، وتكشف عن سيميائية الشخصية والألوان برفقة هذا الأديب المبدع الذي يفك رموز وشفرات اللوحة، التي تعني بأن الحياة هي عبارة عن غرام يولد ويموت، وأجيال تأتي وتنتهي آخرى.

إذن؛ فالمشهد يبرز وبشكل جلي أفكار الشخصيات وميولهم ومعتقداتهم وصراعهم الداخلي فضلاً عن مظاهرهم الخارجية، بحيث يجعل المتلقي قادراً على فهم محتوى الحوار والتفاعل معها.

ب- الوصف (الوقفة الوصفية):

هي وصف الأشياء بصورة دقيقة ومتأنية "تكون في مسار السرد الروائي توقفات معينة يحددها الروائي بسبب لجوئه إلى هذا الوصف، فالوصف يقتضي عادة انقطاع الصيرورة الزمنية ويعطل حركتها"(لحميداني، 1991، 52) ، إذ يستطيع الكاتب أن يسلط الضوء على تفاصيل جزئية بل ودقيقة، سوى كانت تفصيل عن مدينة معينة أو قرية أو شخصية من الشخصيات أو مكان، ليتبين ما أن كان هذا الوصف وصفاً ذاتياً للمشاعر أو موضوعياً لمظهر من مظاهر الطبيعة.

ومن نماذج توظيف الوصف في رواية (ذاكرة ذات) ما يلي:

"الضباع تسير في الآفاق تتبع فرائسها، تتمخطر في مشيتها، تراوغ طرائدها، تكشيرات أنيابها تثير الرعب، فصيلة الضباع، كان أشدها فتكاً الضبع المرقط أو المخطط بلون فرائها البني الضارب إلى الرمادي الممتد عبر مساحة جسده، قوائمها الغزلانية المزينة بخطوط سوداء، وآذان يغلب عليها السواد....".(بن طاهر، 2023، ص74)

يوصف الكاتب صفات الضباع المتوحشة التي تقطن الغابة الموجودة بمحاذاة الجبل، على لسان شخصية (أبو صابر) الذي يعيش في قرية صغيرة قليلة السكان، يحيط

بها الخلاء، وإذا بالضباع تحوم ليلاً للبحث عن الفرائس، ومن شدت فزعه منها يوصفها بوحشية دقيقة، وهذه دلالة على تمكن القارئ من التعمق الكبير في تفاصيلها من خلال تبطئة السرد في هذه الجزئية.

وفي مثال آخر:

"بدت طرابلس كئيبة حزينة، هبت رياح غربية محملة بالأتربة والغبار، كانت الأوراق تتطاير في الطرق وأكياس النايلون، ظهرت كقطع الصوف تتماوج وتسير في حركة لولبية حتى يستقر بها المقام في زاويا الأرصفة...".(بن طاهر، 2023، ص98)

هذا المثال يقدم وصفاً عاماً لمدينة (طرابلس) الليبية، من حيث الرسم الخارجي لمبانيها وحالة طقسها المتمثل في وجود الرياح المثيرة للأتربة والغبار، وتأثيرها على ما هو موجود في شوارعها من حركة غير مستقرة، فهذه دلالة على المعاناة النفسية والاجتماعية والاقتصادية التي يشعر بها كلاً من: (المهدي، رمضان، حفيظة، عجيلة) عندما كانوا ينتقلون في أزقة شوارع طرابلس الكئيبة الحزينة على غياب الشاعر التي تلفقته أيادي الحرس، مما جعلهم في حالة من الحسرة والألم والحزن عليه، هذا ما انعكس على أجواء المدينة وشحوب طقسها.

ومما لا شك فيه أن الروائي في رواية (ذاكرة ذات) تراوح وتمازج في توظيف المفارقات الزمنية داخل روايته، ما بين استرجاع، واستباق، وتسريع، وتبطئ، وحوار، ومشهد بين الشخصيات، وما بين تقليص الحديث وذكر تفاصيله بكل حذافيره، ووضع لمساته الجمالية والوصفية والزخرفية، والتي تضفي رونقاً جميلاً على النصوص وبراعة في وصفها.

وفي براعة توظيف الوصف أيضاً:

"في العشية وقد عاودت ظلالنا طولها الخرافي وقفنا متحاذيين أنا وياسمين على الرصيف كانت القلعة خلفنا والمدينة الكئيبة أمامنا، كان شطر ظلالنا تستلقي على أرضية الشارع، بينما انكسر الباقي على جدار القلعة الرهيب، كنا قزمين بينما صارت الظلال عمالقة يصاحبننا حتى المغيب".(بن طاهر، 2023، ص131)

جمع الراوي بين تقنيتي الزمان والمكان بذكره (للعشية) وهي الوقت ما بين العصر والمغرب، و(الرصيف، القلعة، المدينة، الشارع، الجدار)، ثم رجع من جديد وذكر (المغيب) وهو إختفاء قرص الشمس عن الرؤية، وهي دلالات يفرضها الواقع المرير، وكأن الحياة في

نظر (المهدي، وياسمين) هي الموت البطئ، تلك أوصاف مدينة (طرابلس) التي كانت تعج بضوضاء البشر وحركة المارة، فتحول المكان من أليف إلى موحش ومخيف، لا يوجد به إلا صورة القلعة الضخمة، وانعكاس الظل عليها.

ويهدف هذا النص لنقل صورة واقعية شهدتها مدينة طرابلس في زمن الثمانينات بطريقة وصفية حسية ملموسة، كوجود (المهدي، وياسمين) (المرأة والرجل) وهما في حالة من الخوف وعدم الشعور بالأمان، ودلالة المساء هي قرب حلول الظلام، (القزمين) هي دلالة على الضعف وعدم القدرة على التصدي في وجوه الفئة الباغية الظالمة، يوصف حزن وكآبة المدينة والإحساس بصغر الحجم، ربما كان زمن نفسي، داخلي، باطني عميق لا يمكن تحديده، ولكن لتقريب الصورة إلى ذهن المتلقي، ولتتجسد مقدرته على ملء الفجوات والفراغات وذلك من خلال جمالية الإيحاء.

الخاتمة

توصل هذا البحث إلى جملة من النتائج أهمها ما يلي:

- بدأ الروائي بتقنية الاسترجاع في بداية روايته وانتهت به وهذا ما يعرف ب(الرواية الدائرية).
- اعتمد الروائي في الرواية على الرجوع بالذاكرة إلى الوراء، واستحضار أماكن أثرية قديمة، لتعكس عمقها في الحاضر وأهميتها في كل زمان ومكان.
- طغت تقنية الاسترجاع بشكل كبير في الرواية وذلك لأهمية الزمن الماضي وما جرى فيه من أحداث مختلفة، كان لها الوقع الكبير على الذات الساردة.
- عمل الاستباق على توطيد الحدث والتمهيد لما سيأتي من أحداث جديدة وهامة في المستقبل، وهذا يخلق لدى القارئ حالة من الانتظار والتنبؤ بالقادم.
- تمثلت الحكاية الرئيسية في تحديد العلاقة التي تجمع ما بين الزوجين (المهدي، ياسمين) بحضور شخصيات ثانوية.
- حققت تقنية تسريع السرد في الرواية مبدأ الترابط النصي بين الفترات الزمنية وذلك من خلال الحفاظ على السرد من التفكك.
- وظف الراوي تقنية إبطاء السرد في روايته، وذلك بتعطيل أو توقف زمن السرد والسير نحو تفصيل الأحداث وتداخلها وتعاقبها، وحتى يصل إلى عملية الوصف.

- تفنن الراوي في استخدام المشهد الحواري بشكل منظم ومتناسق بين الشخصيات، وتنوع فيها ما بين الحوارات الطويلة والقصيرة.
- كشف الراوي جماليات الوصف بذكر صفات بعض الشخصيات والأماكن الأثرية في المدن الليبية، وهذا يشكل لبنة من لبنات السرد الذي ينقل ويوصف الأحداث بدقة.
- عمد الراوي على وصف الأمكنة بشكل كبير في روايته، لما له من تقنيات ومرجعيات في تكوين البعد الأيديولوجي للنص، ومدى تأقلم الشخصيات فيه وانعكاسها على ذواتهم.

قائمة المصادر والمراجع

1. أسلوب كتابة الفن القصصي بين الاعتدال والجنون، ليون سرميلون، ت: ميادة نور الدين، دار الثقافة للنشر، مصر، 2003.
2. بناء الرواية، سيزا قاسم، مكتبة الاسرة للنشر، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2004.
3. بنية الشكل الروائي، القضاء، الزمن، الشخصية، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
4. بنية النص السردي في منظور النقد الأدبي، حميد لحميداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1991.
5. تحليل النص السردي، محمد بوعزة، دار العربية للعلوم ، الجزائر، ط1، 2010.
6. تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، أمنة يوسف، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2015.
7. تقنيات السرد وأليات تشكيله الفني، نفله حسن العربي، دار غيداء للنشر، عمان، الأردن، 2011.
8. روايات باكثير في قراءة الرؤية والتشكيل، عبد الله الخطيب، دار المأمون للنشر، عمان، الأردن، 2009.
9. رواية ذاكرة ذات، طاهر بن طاهر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1، 2023.
10. الزمن في الرواية العربية، مها حسن القصراوي، دار الفارس للنشر، الأردن، ط1، 2004.
11. سردية النص الأدبي، ضياء غني لفتة، عواد كاظم، دار الحامد للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2010.

12. طرائق تحليل القصة، الصادق قسومة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000.
13. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية للنشر، العراق، 2001.
14. ليبيا تطور المدن والتخطيط الحضري، علي الميلودي، الملتقى للإنتاج الإعلامي، طرابلس، ليبيا، 2009.